مقدمات التفاسير
بين الأهمية والتأصيل

Introductions to interpretations between importance and rooting

محمود مطني خلف فيحان

جامعة الأنبار - العراق

Mahmoud Matani Khalaf Faihan

University of Anbar - IRAQ

أحمد ختال مخلف العبيدي

الأستاذ الدكتور في كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الأنبار - العراق

Ahmed Khatal Mikhlif Al-Obaidi

Prof. Dr at College of Education for Human Sciences

University of Anbar - IRAQ

ed.ahmed.khtal@uoanbar.edu.iq

ملخص البحث

يهدف هذا البحث الى بيان مفهوم المقدمة في اللغة والاصطلاح ومدى اهمية المقدمات لكتب التفسير وكذلك معرفة أول من كتب مقدمة لكتابه وبيان وظيفة المقدمة في تأصيل المنهج التفسيري ومفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح ومعرفة مرحلة تأصيل التفسير منذ بداية نشأته مع ذكر بعض المؤلفات لتلك المرحلة، واشتمل على مبحثين الاول وتضمن مطلبين: المطلب الاول مفهوم المقدمة في اللغة والاصطلاح اما المطلب الثاني: اهمية علم المقدمات وذكرنا في المبحث الثاني: وظيفة المقدمة وتأصيل المنهج التفسيري وفيه مطلبان المطلب الاول: مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح والمطلب الثاني: التفسير في مرحلة التأصيل.

❊ ❊ ❊

Research Summary

This research aims to clarify the concept of the introduction in language and terminology and the extent of the importance of the introductions to the books of interpretation, as well as to know the first to write an introduction to his book and to explain the function of the introduction in rooting the explanatory approach and the concept of the curriculum in language and terminology and knowing the stage of rooting interpretation since the beginning of its inception with the mention of some literature for that stage, and it included: Two topics, the first and included two demands: the first requirement is the concept of the premise in language and terminology, the second requirement: the importance of the science of introductions.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن أجلَّ علم صرفت فيه همم العلماء المسلمين، هو علم الكتاب المنزل، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، وفيه الهدى والشفاء للمسلمين، والرحمة والبيان والموعظة الحسنة، فلو أنفقت فيه أعمار البشر ما أدركت كل غوره، وإن بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه ما يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة الاسلامية على العناية بتفسير القرآن العظيم، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه الجمّة، والنهل من معينه العذب الذي لا ينضب، وبسبب انكبابهم على دراسته، تنوعت أساليبهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في توضيح مكنوناته.

وإني قد تطرقت إلى الخوض في دراسة علم التفسير والبحث فيه رغبة ملحة في أن يكون تفسير القرآن العظيم طريقًا من الطرق التي تجعل المسلم يرجع إلى القرآن رجعة حقيقية، ويتعامل معه مثلما تعامَل معه السلف الصالح، ويتلقَّاه بالقبول التام والارتياح وكأنه قد أُنزِل عليه، وكأنه هو المُخاطَب بكل آية فيه، وكأنه هو المسؤول عن تبليغه للناس وتطبيقه في ذاته أولًا ثم في أسرته، ومجتمعه وفي الرحاب الإنسانية جميعها.

فقد اخترت البحث في مقدمات التفاسير لما فيهل من اهمية كبرى لأن المقدمة تعتبر لب ما موجود في كتاب التفسير، وعند قراءة المقدمة يفهم محتوى الكتاب، كذلك بينت في المبحث الاول: اهمية المقدمات ونشأتها، وفي المبحث الثاني: تأصيل المنهج التفسيري ووظيفة المقدمة.

أهمية البحث :

١- التسهيل والتيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه وما يتشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه، فلا يلجأ الى غيره لتوضيح ذلك.

٢- انها تقوي المعارف لدى القارئ لحس الدفاع عن ضمن الكتاب العزيز دون الحاجة الى الخوض في غمار المطولات من المصنفات.

وقد اشتمل البحث على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

* * *

المبحث الأول
نشأة مقدمات التفاسير

المطلب الأول: مفهوم المقدمة في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم المقدمة لغة:

المَقدَم محركة: السابقة في الامر، كالمُقدْمةُ بالضمَّ، ولرجلُ لَه مرتبةٌ في الخبر وقدمُ القوم، كنَصَرَ، قدماً قدوماً، وقدمَهمُ واستقدمَهم، وقدوم الشيء مقدمةُ وصدرهُ، والمقدمةُ: ضربٌ من النشاط [١]، ولقدمُ أيضاً: السابقة في الامر يقال لفلان قدِمُ صدقٍ أي: أثره حسنةٌ، ومقدمةُ الجيش بكسر الدال: أوله [٢]

ثانياً: مفهوم المقدمة اصطلاحاً:

تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الاتية، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل [٣] ومقدمة الكتاب: ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لأرتباطها، ومقدمة العلم ما يتوقف عليه الشروع، فمقدمة الكتاب اعم من مقدمة العلم بينها عموم وخصوص مطلق والفرق بين المقدمة والمبادئ ان المقدمة اعم من المبادئ، وهو يتوقف عليه المسائل بلا واسطة، والمقدمة ما يتوقف عليه المسائل بواسطة او لا واسطة [٤]

ثالثا: هناك تعريفات عدة ذكرها العلماء للمقدمات منها :

١- يقال: مقدمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت امام المقصود لإرتبط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها ام لا ؟ [٥]

٢- جاء ما نصه: "هي ما يتوقف عليها بالشرح على بصيره " [٦]

٣- المقدَّمة بكسر الدال المشددة وفتحها معانٍ كثيرة، وفي تلك المعاني: مقدمة الكتاب وعرفت: مقدمة الكتاب: طائفة من الالفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم او لا فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير ان يكون مقدمة العلم [٧] .

وفي هذا المعنى فقد قيل: المقدمة للكتاب كالأساس في البنيان، ومن الافضل أن يأتي في المكاتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدّمة يصدّر بها تأسيسا لما يأتي به في مكاتبته، ثم قال: والطريق الى اصابة المعنى في هذه المقدمات ان تحصل مشتملة على

(١) القاموس المحيط، ص١١٤٧.
(٢) الصحاح، ص١٠٨٨.
(٣) التعريفات، ص٢٢٣.
(٤) المصدر نفسه ص٢٢٣ .
(٥) ينظر: المطول على التلخيص مع شرح السيد الشريف: ص١٣.
(٦) ينظر: الكتاب لأبي البقاء العكبري، ص٦٣٦.
(٧) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، ١٢١٦/٥.

ما بعدها من المقاصد والأغراض [١] والذي تبين لي ان الذي قصده المفسرون هو تقديم طائفة من العلوم والمباحث وقد اشار الى ذلك ابن عطية بقوله: ولنقدم بين يدي التفسير اشياء قد قدّم أكثرها المفسرون، واشياء ينبغي ان تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم، مجتمعة لذهنه [٢] .

ان بعض المفسرين في القديم والحديث صدَّروا كتبهم بمقدمات قيمة في علوم القرآن لتكون مفتاحاً لهذه التفاسير [٣] وتعرض المهتمون بمناهج البحث من المعاصرين بذكر عناصر التأليف، فذكروا المقدمة والتقديم، ومحتوى كل منهما من المادة العلمية، وكان الاهتمام منصباً على مقدمات الرسائل العلمية، وسأقتصر هذا على ايراد بعض النماذج من كلامهم .

أن المقدمة عادة ما يذكر فيها الأسباب التي وقعت لكتابه، والطريقة التي اتبعها، وفكرة موجزة جداً عن فصول المحتوى الذي يحوي المعلومات المشبهة لتعطي القارئ فكرة عما يتكلم المرجع [٤] .

فقد قيل: إنه لا يحسن بالكاتب أن يخلي كلامه- وإن كان وجيزا- من مقدّمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة، ليوفّي التأليف حقّه. قال في «موادّ البيان»: وعلى هذا السبيل جرت سنّة الكتّاب في جميع الكتب كالفتوح، والتّهاني، والتّعازي، والتّهادي، والاستخبار، والاستبطاء، والإحماد، والإذمام، وغيرها ؛ ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه، وحجّة يستظهر بها السلطان؛ لأن كلّ كلام لا بدّ له من فرش يفرش قبله: ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان[٥]

رابعا: اقدم المقدمات :

ذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير الى ان اقدم من صدّر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ثم تلاه غيره [٦]، وهذا القول ربما كان من السمّات عند أكثر الباحثين، والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير من التوسع والشمولية في المعالجة، كعبد عبد الرزاق الصنعاني، ت٢١١هـ، فقد اكتفى المتقدم بتقديم جملة ثم تبعهما آخرون توسعوا في المواضيع، واتجهوا الى جمع الادلة والآثار وسردها ومناقشتها، كما اهتموا بالتعقيب على اقوال اسلافهم من المفسرين المتقدمين، وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات الى اهل المغرب وبلاد الاندلس، فاهتموا بذلك أي اهتمام، وكان أكثر من اهتم بذلك ابن عطية

(١) ينظر: صبح الاعشى للقلقشندي، ٢٦٧/٦.
(٢) ينظر: تفسير ابن عطية، ١٢/١.
(٣) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ٣٥.
(٤) ينظر: مناهج البحوث وكتابتها، يوسف القاضي، ص٦١.
(٥) صبح الاعشى للقلقشندي ٢٦٨/٦
(٦) ينظر: المدخل الى دراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ص٣٥، السيوطي وجهوده في علوم القرآن، لعبد الحكيم الشريف، ص٨٩.

والقرطبي وابن جزي وغيرهم، وهكذا الى ان جاء السيوطي في المشرق وشرع في تدوين تفسير كبير لكتاب الله سماه مجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية ووضع كتاباً على الشأن، جلي البرهان، كثير الفوائد والاتقان اسماء الاتقان في علوم القرآن[١] وجعله مقدمة لتفسيره السابق ذكره، وثم بذلك تدوين اوسع مقدمة لكتاب في التفسير، تلك اصل فكرته ولكن الكتاب لسعته وعدم كمال اصله أخذ استقلاليته [٢]، وتتابع تصدير التفاسير بمقدمات في علوم القرآن على مر العصور والازمان، فلا نكاد نجد تفسيراً معتبراً إلا وقد احتوى على مقدمة في هذا الشأن، حتى اصبح ما بدأه عبد الرزاق وابن جرير سنة متبعة الى يومنا هذا، فقد ظهرت مقدمات في غاية الاتقان والاجادة لمقدمة التحرير والتنوير لأبي عاشور، ومقدمة روح المعاني للآلوسي ومقدمة محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي وغيرها [٣] .

المطلب الثاني: أهمية علم المقدمات :

لقد اهتم العلماء قديماً بمضامين مقدمات التفاسير فقد ضمنوها خلاصة افكارهم وزبدة آرائهم حول كثير من المسائل سواء في علوم القرآن ومباحثه او التفسير وعلومه، وسبب ذلك لأنها توصل الى معرفة مراد الله تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه، ولكون المفسر قد طرق هذه الابواب، وأولى يدلون في بيان معاني الآيات، فكان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة، ومحاولة الغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها، ومن ثم معرفة مواقف المفسرين في مسائل علوم القرآن ليتسنى مدى معرفة المفسر بالعلوم المعينة على فهم كتاب الله تعالى [٤] ولهذه الدراسة اهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن ومباحثه عند المفسرين، وذلك لأن المفسر قد ضمّن مقدمته رأيه في بعض المسائل فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله واثبته، وليستدرك عليه مالم يقله مما هو مطلوب قوله، كما بينت تأثر المفسرين بعضهم ببعض، ثم إن المقدمات هي أولى المصنفات التي جمعت اكثر من موضوع من موضوعات علوم القرآن عامة وعلوم التفسير خاصة في موضع واحد فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن، وهذا جانب هام، ويمكن ايجاز اهمية المقدمات في الامور الاتية [٥]:

١- إنها النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن الكريم.

(١) ينظر: الاتقان للسيوطي، تحقيق الدكتور البغا .
(٢) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، محمد صفا شيخ إبراهيم، ٢٢/١.
(٣) ينظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ٢٣/١.
(٤) المصدر نفسه، ١٦/١.
(٥) المصدر السابق نفسه، ١٧/١.

٢- انها تضمنت الكثير من الأحاديث والآثار المتعلقة بعلوم القرآن الكريم والتي رواها المفسرون بأسانيدهم .

٣- انها حديث أقوال وآراء المفسرين في كثير من علوم القرآن ومسائله .

٤- انها تضمنت ردود ومناقشات المفسرين المتأخرين لآراء وأقوال أسلافهم المتقدمين، فكان في ذلك تحرير لكثير من المسائل المختلف فيها .

٥- التسهيل والتيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه وما يتشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه، فلا يلجأ الى غيره لتوضيح ذلك .

٦- انها تقوي المعارف لدى القارئ لحِس الدفاع عن ضمن الكتاب العزيز دون الحاجة الى الخوض في غمار المطولات من المصنفات .

٧- انها علاقة هامة على تطور علوم القرآن[١] .

ويمكن القول ايضا بأن مقدمات الكتب: من خبئ فوائدها ومكنون نفائسها انها اصدق ما يكون واجلى ما يبدو في ديباجات الكتب ومقدماتها، اذ فيها من الكنوز المخبوءة، والفوائد المكنونة ما لا يوجد ربما في الكتاب نفسه ولعل كثيرا من القراء يمرون بمقدمة الكتاب مرور الكرام، يضنون ان الاجدى والاولى هو القفز عنها الى بداية الكتاب، إعمالا للعقل فيما هو اهم، وصرفا للوقت فيما هو احق، وهذا من الخطأ الذي ينبغي الحيد عنه، فالمقدمة ان هي الا بوابة للكتاب ومفتاحه، فهي - من وجه – اشبه ما تكون بالدليل المرافق لجهاز ما اشتريته، فأنت لست بغنى عن قراءة هذا الدليل، والاطلاع على ما فيه من تنبيهات ومعلومات تضعك على طريق واضحة قبل استعمال الجهاز، وكان بعض اساتذتي يقول ناصحا: اذا اشتريت كتابا ولم يكن من المتاح ان تقرأه عن قريب، فلا تضعه من يدك قبل ان تقرأ فيه شيئين: المقدمة، وفهرس الموضوعات، فكلاهما يقدم فكرة واضحة وتصورا دقيقا لما عليه الكتاب.[٢]

وقد جاءت مقدمات التفسير مشحونة بالفوائد الجمة، ومن بين الذين نبهو الى قيمة هذه المقدمات العلمية وفائدتها الدكتور محمد بن لطفي الصباغ . فقد جعل هذه المقدمات من اهم المصادر التي يمكن ان يرجع اليها طالب العلم الراغب في معرفة اصول التفسير، قال: « من ذلك المقدمات النفيسة التي كتبها المفسرون الكبار من امثال الطبري والقرطبي وابن حيان وابن كثير وغيرهم « ثم جمعت هذه المباحث تحت مسمى علوم القران ثم افرد كل علم منها على حده، ومن ذلك علم اصول التفسير وقد تفرقت موضوعاته عند المتقدمين في مقدمات

(١) ينظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ١٨/١.

(2) https://www.alukah.net/culture

التفاسير وفي كتب علوم القران واصول الفقه [١]

وقد ظهرت المدونات في التفسير اما بالأخبار عنها كتفسير مجاهد والثوري والحسن البصري، وإما بما نقل منها في تفاسير اللاحقين كتفسير مقاتل بن سليمان ت ١٥٠هـ، وهو اقدم تفسير كامل للقران الكريم وصل الى الامة وكتفسير يحيى بن سلام ٢٠٠هـ الذي احدث نقله هامة في تاريخ التفسير، فقد اتسم بالتعمق في المنهج وجمع في تفسيره بين الرواية والدراية.[٢]

وان اغلب المقدمات في اصول التفسير تتركز على اربعة موضوعات رئيسية تندرج تحتها عدة مباحث [٣] وهي كالتالي:

الاول: اهمية التفسير وقيمته.

الثاني: العلوم التي يفسر بها القران الكريم .

الثالث: الشروط الواجب توافرها في المفسر.

الرابع: اهم قواعد اصول التفسير.

* * *

المبحث الثاني
وظيفة المقدمة
وتأصيل المنهج التفسيري

المطلب الأول: مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الطريقة

أولا: مفهوم المنهج في اللغة

النهج: هو الطريقة وفهم ولي الامر اوضحه وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق.

والجمع: المناهج[٤]

وورد في مفردات الراغب الاصفهاني ما نصه النهج هو: الطريق الواضح.

ونهج الامر وانهج: وضح . ومنهج الطريق ومنهاجه. قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا.[٥]

إذن فمادة منهج تقوم على توضيح الامر وبيانه وتستعمل في الطريق الذي يكون واضحا مستقيما معروفا بينا، بحيث يمكن معرفته وتمييزه، ويسهل سلوكه والسير فيه.[٦]

وأَنْهَجَ الأَمْرُ والطَّريقُ وَضَحَ. و أَنْهَجَ: أَوْضَحَ . قَالَ يَزِيدُ بنُ الخَذَاق العَبْديّ:

---

(١) مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية العدد(٥٣ رمضان ١٤٣٢هـ

(٢) المصدر نفسه

(٣) اصول التفسير في مقدمات كب التفسير / د . سلمى داود ابراهيم بن داود ٤٣

(٤) مقاييس القه لابن فارس ،ص١٠٠٠

(٥) معجم مفردات الفاظ القران الكريم الراغب الاصفهاني ص٨٢٥

(٦) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ،ص١٥

وَلَقَد أَضاءَ لَك الطَّرِيقُ وأَنْهجَتْ
سُبُلُ المَكارِمِ والهُدَى تُعْدِي

أَي تُعِينُ وتُقوِّي [١]

ثانيا: مفهوم المنهج بالاصطلاح:

للمنهج تعاريف عده عرفه بها العلماء باختلاف مشاربهم وقاربهم نذكر منها بأيجاز ما يأتي :

١- المنهج: هو الخطة المحددة التي وضعها المفسر عند تفسيره للقران الكريم والتي انعكست على تفسيره الذي كتبه وصارت به واضحة فيه، وهذه الخطة تقوم على قواعد واسس وتتجلى في اساليب وتطبيقات [٢]

٢- المنهج :هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القران التي يمكن من خلالها تبيين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة [٣]

ثالثا: الفرق بين المنهج والطريقة والاتجاه

عرفت فيما سبق المنهج في اللغة والاصطلاح وأعرج الان الى تعريف الطريقة والاتجاه والفرق بينهم.

مفهوم الطريقة في الاصطلاح:

الطريقة هي الاسلوب الذي سلكه المفسر اثناء تفسيره لكتاب الله والطريق التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها، وبعبارة اخرى: الطريقة هي تطبيق المفسر للقواعد والاسس المنهجية في فهم القران، تطبق تلك القواعد في مختلف الوان علوم التفسير، كتفسير آيات العقيدة، وآيات الاحكام، وآيات الامثال، وآيات القصص وغير ذلك [٤]

وأما الاتجاه: فهو تأثير الاعتقادات الدينية الكلامية والاتجاهات العصرية واساليب كتابة التفسير، والتي تكون على اساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصص المفسر [٥]

رابعا: الفرق بين المنهج والطريقة :

قلنا ان المنهج هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة، التي تتمثل في القواعد والاسس والمنطلقات التي تعرف عليها المفسر والتي انطلق منها في فهمه للقران الكريم والتي التزم بها في تفسيره له، هذه القواعد والاسس كانت ضوابط له ولتفسيره، حكمته وهو يتعامل مع كتاب الله ويفهمه ويفسره، فلم يخالفها ولم يخرج عنها.[٦]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ٢٥٢/٦

(٢) ينظر المصدر نفسه

(٣) المناهج التفسيرية في علوم القران، الشيخ جعفر سبحاني ٢٠/٤-٢١

(٤) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ١٨

(٥) المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني ٢٠/٤-٢١

(٦) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ١٨

وأما الطريقة: فهي الاسلوب الذي سلكه المفسر اثناء تفسيره لكتاب الله والطريق التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها، وبعبارة اخرى: الطريقة هي تطبيق المفسر للقواعد والاسس المنهجية في فهم القران، تطبق تلك القواعد في مختلف الوان علوم التفسير، كتفسير آيات العقيدة، وآيات الاحكام، وآيات الامثال، وآيات القصص وغير ذلك [١].

وبعبارة اخرى: ان كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القران الكريم هو ما يطلق عليه منهج التفسير [٢] ومعنى مناهج المفسرين فهو: الخطط العلمية الموضوعية لها قواعد واسس منهجية مرسومة، ولها طرق واساليب وتطبيقات ظهرت في تفاسيرهم [٣].

المطلب الثاني: التفسير في مرحلة التأصيل:

كانت المرحلة الاولى للتفسير هي الاساس القوي والنواة الصالحة لتطوير تفسير القران، وقد اقترن هذا التطور بمجيئ العصر العباسي الذي تفجرت فيه تيارات فكرية، وتغيرات اجتماعية جديده دخلت المجتمع الاسلامي نتيجة للاختلاط الحضاري والتلاقح الفكري، فالعراق بلد له تاريخ عريق في الحضارة والثقافة والمدنية وكان منارا يلقي اشعته على ما حوله من البلدان قبل الاسلام، فبالتلاقح الفكري انتقلت علومه المختلفة وثقافاته المتعددة الى المجتمع الاسلامي فاقبل العلماء على هذه العلوم يستفيدون منها لفهم القران الكريم. ولتوسيع مهاراتهم العقلية والفلسفية والعلمية للرد على اهل الاديان الاخرى ومنكري النبوات الذين شنوا هجوما فكريا على اصول الاسلام وعقائده ،فانبرى لهم المفسرون يفندون اراءهم، وقد تولد عن هذا الصراع ضهور فرق اسلاميه مختلفة واحزاب سياسيه متناحرة اثارت كثيرا من القضايا الدينية والفكرية واخذت تنضر الى القران الكريم من خلال عقائدها. وكان لها نشاط ملحوظ في ميراث التفسير كالمعتزلة والخوارج والاشعرية والامامية. ولما كان لإختلاط العرب بالأمم الاخرى اثره في شيوع الضجة قام اللغويون النحويون يضربون اكباد الابل الى البادية يستفسرون عن لفض، او يقفون على تفسر ليساعدهم في فهم الايات مما ادى الى نشوء تفاسير لغويه ونحوية. [٤]

وبهذا فقد انتقل علم التفسير انتقالا موضوعيا الى المرحلة الثانية وهي محله التأصيل وهذه المرحلة مبنية على ما قبلها بناء سليما. ومرتبطة بها ارتباطا وثيقا فمن المنطقي ان يأتي التأصيل

(١) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ١٨
(٢) دراسات في مناهج التفسير، مجموعة مؤلفين، سلسلة المعارف الاسلامية، مركز نون للتأليف والترجمة ط١، ٢٠١٢م-١٤٨٣هـ ص٦٠
(٣) تعريف الدارسين ص١٧
(٤) ينظر مدخل الدراسة للتفسير، مجموعة مفسرين ص٤١

بعد التأسيس، وثم في مرحله التأصيل ترسيخ المنهج الاصيل لعلم التفسير، المنهج الذي يقوم على اساس وقواعد فنيه، وهذه القواعد والاسس قعدت لعلم التفسير القاعدة الصلبة، التي اعقبت تأسيس ونشأة هذا العلم، وكانت مرحله التأصيل في نهاية القرن الثالث وارسى اسس وقواعد علم التفسير في هذه المرحلة امام المفسرين ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، فوصل اليه الاتجاهات السابقات البارزات في مرحله التأسيس، اتجاه التفسير الاثري واتجاه التفسير اللغوي، فصاحب التفسير اللغوي كالاخفش والفراء كان لا يكاد يذكر الاقوال المأثورة في التفسير، لا يكاد يقدم اجتهاداته واستنباطاته، وصاحب التفسير الاثري، كالسدي الكبير وعبد الرزاق، لا يكاد يتعرض للغة في التفسير، ولا يكاد يقدم اجتهاداته ايضا فلما جاء الامام الرائد ابن جرير الطبري جمع بين الاتجاهيين الاساسيين :هما: التفسير الاثري والتفسير اللغوي واضاف لها استنباطاته وترجيحاته .[١]

وفيما يلي عرض لأهم المؤلفات التي ظهرت في هذه المرحلة :

١- غريب القران لأبي محمد عبدالله بن مسلم المعروف بأبن قتيبة ت٢٧٦هـ.[٢]

٢- غريب القران لأبي بكر محمد بن عبد العزيز السجستاني ت ٣٣٠هـ [٣]

٣- المفردات في غريب القران، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت٥٠٢هـ [٤]

٤- تأويل مشكل القران لأبن قتيبة [٥]

٥- الفوائد في مشكل القران للعز بن عبد السلام ت ٦٦٠ هـ [٦]

٦- معاني القران لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٣هـ [٧]

٧- معاني القران لأبي زكريا يحيى بن زياد ت٢٠٧ هـ [٨]

٨- اعراب القران لأبي اسحاق ابراهيم السدي المعروف بالزجاج ت ٣٠٠ هـ [٩]

٩- اعراب ثلاثين سورة من القران لأبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بأبن خالويه ت ٣٧٠ هـ [١٠]

(١) منهج الدارسين، ص ٤٠
(٢) طبع عدة طبعات منها طبعة جيدة يتحقق السيد احمد صفر بدار احياء الكتب
(٣) ينظر معجم المطبوعات ١٠٠٨/١
(٤) طبع عدة طبعات اخرى يتحقق الدكتور محمد احمد خلف، القاهرة، ١٩٧٠م
(٥) طبع يتحقق السيد احمد صفر بالقاهرة سنة ١٩٥٥م
(٦) طبع يتحقق سيد رضوان الندوي من مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م
(٧) طبع بدار الكتب المصرية
(٨) طبع يتحقق الابياري بالقاهرة سنة ١٩٦٣م-١٩٦٥م
(٩) طبع بدار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١م
(١٠) حققه الدكتور حاتم الضامن وطبعته وزارة الاعلام ببغداد سنة ١٩٧٥م في جزئين

١٠- مشكل اعراب القران لأبي محمد مكي بن ابي طالب ت ٤٣٧ ه

١١- البيان في غريب اعراب القران لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعيد الانباري ت ٥٧٧ ه

١٢- اعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري النحوي ت ٦١٦ ه

كذلك ظهرت في مطلع القرن الرابع حركة تفسيرية كبرى بلغت حد النضج وبرزت تفاسير مستقلة قائمة بذاتها الا انها مع احتوائها على الروايات بالأسناد الى الرسول ﷺ واصحابه والتابعين فأنها قد تعرضت للأستشهاد بالشعر على المعاني القرآنية، وبيان الاعراب وابرزها الاستنباط الفقهي وتوجيه الاقوال، وترجيح بعضها على بعض والرجوع الى اراء النحاة من كوفيين وبصريين والى اراء اللغويين كالأخفش والفراء وهكذا تجاوز التفسير بهذه الخطوات الواسعة تدوين التفسير منقولا عن السلف الى تفاسير امتزج فيها فهم القران بالرأي والنقل وبهذا الاسلوب بلغت التفاسير غاية النضج والكمال تبعا لتدرج الحياة غير ان ما يلاحظ عليها هو المغالاة في تلوينها باللون الذي تميل اليه ثقافة المفسر لهذا كانت هذه التفاسير ذات مشارب مختلفة تبعا لإختلاف مشارب مؤلفيها، ومن هذه التفاسير فظلا عن تفسير الطبري سالف الذكر.

١- تفسير البيان في تفسير القران للشيخ احمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ ه كان الطوسي إمام الامامية لا يستطيع تقليد المفسرين الذين سبقوه الا بقيام الادلة الصحيحة على اقوالهم وقد كان اعتماده في المنقول على اهل البيت من الصحابة والتابعين وبعد قيام الادلة الصحيحة العقلية او الشرعية على اقوالهم واهم ما يلاحظ على المؤلف تحكيمه العقل غالبا في احتجاجاته وشرحه لمعاني القران وترجيح بعضها على بعض وفي الدفاع عن مذهبه الفقهي كما حكم عقله كذلك بسلامة وعمق في رده على مخالفيه من الفرق والمذاهب الاخرى كالحشوية [١] والخوارج [٢] والمعتزلة وغيرها، وبعد هذا التفسير من اهم تفاسير الامامية كونه جامعا لمنهجي المنقول والمعقول وان غلب عليه الجانب العقلي

٢- تفسير مجمع البيان للطبرسي: ويعد هذا التفسير من التفاسير الاصلية المعتبرة لدى علماء المسلمين لعدم تعصبه لشيعته وتحيزه لمذهبه غالبا فلم يفرق بين الصحابة في مروياتهم و آرائهم ولم يجرح احم منهم وهو من هذه الناحية يعد نموذجا فريدا بين تفاسير الامامية كما انه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض بنزاهة وانصاف يتم عن عمق في الفهم، ولقد افاض في تفسيره بعلوم اللغة والنحو والبلاغة مما

(١) هم الذين يحشون الكتب بالروايات ويأخذونها من دون تفقه ودراية، ينظر: شرح المقاصد للتفتازاني ١٧٦/٢

(٢) الخوارج: ظهرت هذه الفرقة في عهد علي رضي الله عنه وكانوا من اتباعه لما قبل التحكيم خرجوا عليه وهم اشد الفرق دفاعا عن مذهبهم

يدل على تطلعه فيها كما عني في تفسيره بالفقه والحديث والقراءات مما يدل على تمرسه فيها وبهذا يكون تفسيره جامعا بين المنقول والمعقول مناسبا في ذلك بأمامة الطوسي.

٣- تفسير جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ ه المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل وقد عني فيه بالوجوه البلاغية ومكانتها التي اشتملت عليها الآيات القرآنية لأنه كان في اسرار البلاغة ومن حق الزمخشري علينا ان نقرر ان تفسيره بلغ قمة التفاسير البيانية وان اسلوبه فيما سلكه من بيان من الناحية البلاغية ليعد مجددا لأنه خالف الاسلوب الذي سار عليه اهل السنة قبله، فتوضيحه لجمال الاسلوب وبيانه لوجوه الاعجاز قد حمل كثيرا من اهل السنة على ان يسلكوا مسلكه في تفسيرهم كالعلامة ابي السعود محمد بن محمد العمادي ت ٩٨٢ ه ومما يؤخذ عليه انه كان في اثناء تفسيره للآيات يدس مذهب المعتزلة بحسن تعبيره بحيث يغيب ذلك على كثير من الناس، وقد انبرى له الامام احمد بن منير المالكي الاسكندري فتتبع اراء الأعتزالية وفنها في كتابه المسمى الانتصاف.

٤- تفسير الرازي محمد بن عمر بن الحسين ٦٠٦ ه وقد توسع فيه توسعا كبيرا في شرح الآيات وربطها بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تعرض لأبطال شبهات الملحدين وهفوات الجاحدين وتفنيد حجج المخالفين من المعتزلة وغيرهم كما أهتم بالعلوم الكونية والاستنباطات الرياضية وفروع الفقه واصوله إلا ان النزعة الفكرية العقدية هي السمه البارزة على تفسيره لما افاض فيه من مباحث في علم الكلام

٥- تفسير القرطبي، وقد افاض في تفسير آيات الاحكام وفقهها حتى كأنه كتاب فقه يبدأ من باب الطهارة وينتهي بأمهات الاولاد وكثيرا ما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية، والمباحث الاصولية التي لا تعلق لها الآية وكذلك افاض في الرد على ادلة مخالفيه في المذهب [١]

فهذه هي اجل التفاسير التي برزت في مرحلة التأصيل التي ابتدأت من القرن الرابع حتى نهاية القرن السادس الهجري، وان هذه المرحلة لتعد بحق من اخصب المراحل لعلم التفسير حيث اصبح بهذه الكتب الاصلية وامثالها ذا قواعد واسس ومصطلحات، الا ان السمة الغالبة على هذه التفاسير هي الجمع بين التفسير بالنقل والعقل يضاف الى ذلك تأثرها الى حد بعيد بثقافة المفسر تأثيرا واضحا وتأثرها كذلك بنزعته الفكرية والعقدية التي غلبت عليه، فالفقيه ان كان مفسرا اشبع القول في المسائل الفقهية كالجصاص المتوفي ٣٧٠ ه صاحب تفسير احكام القران وإلكيا الهراسي الشافعي ت٥٠٤ه وابن العربي المالكي ت٦٧١ه والقرطبي الذي مر ذكره، وعالم الكلام ملأ تفسيره بالعلوم العقلية

(١) مدخل لدراسة التفسير، مجموعة مؤلفين، ٤٤

والحجج والادلة في الرد على مخالفيه، فهو صاحب كتاب تبيين كذب المفتري يذكر ان ابا الحسن الاشعري احد أئمة علم الكلام قد الف تفسيرا اسماه المختزن لم يترك آية تعلق بها يدعي الا أبطل تعلقه بها وجعلها حجة لأهل الحق [١] . وكتفسير الرازي الذي سبق ذكره، والنحوي ليس له هم الا الاعراب ونقل قواعد ومسائله وخلافاته كالزجاج والواحدي وأبو حيان فهذه الالوان من التفاسير المختلفة قد تأثرت الى حد بعيد بما اشربوا اصحابها من ثقافات، وبما سيطر على عقولهم من نظم فلسفية، ونزعات فكرية ومبادئ عقدية جعلتهم يتحكمون في النص القرآني، يجب ان يجرنا اليه لا ان نجره الينا حتى لا تنزلق بنا الاهواء الى تحميل كتاب الله ما ليس منه فنقع فيما لا تحمد عقباه [٢] .

* * *

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي وفقني وسهل لي اكمال كتابة بحثي هذا الذي يخص مقدمات التفاسير واهميتها وكيفية تأصيلها.

وفيما يلي اهم النتائج :

١- معرفة المقدمة من الجانب اللغوي والجانب الاصطلاحي. وان المقدمة للكتاب هي كالأساس للبنيان .

٢- معرفة اقدم من صدّر تفسيره بمقدمة في علوم القران .

٣- بدأت الكتابة في اصول التفسير ضمن مقدمات التفاسير في القرن الثاني الهجري، ثم ظهرت بعد ذلك الكتابة فيه كموضوع مستقل.

٤- ان وجهات نظر المفسرين تختلف في تحديد مباحث موضوعات اصول التفسير.

٥- هذه المقدمات من نفائس ما كتب، فقد ذكر فيها قواعد نافعة في اصول التفسير.

٦- اختلفت مشارب المفسرين وتعدد طرائقهم في كتابة مقدمة تفاسيرهم فالبعض جعلها طويلة درس فيها موضوعات مختارة من اصول التفسير، والبعض جعلها قصيرة اكتفى فيها بالإشارة الى موضوعات هذا العلم.

(١) ينظر تبيين كذب المفتري، لابن عساكر الدمشقي، ١٣٣، وينظر قصة التفسير لأحمد الشرباصي ،١٤٤

(٢) مدخل لدراسة التفسير، ٤٦

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن (ط. الرسالة)، الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين المحقق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، رقم الطبعة: ١

٢- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ .

٤- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١- يناير – ٢٠١٢.

٥- التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦- صبح الأعشى في كتابة الإنشا (ط. دار الكتب) المؤلف: أبو العباس أحمد القلقشندي مفهرس على العناوين الرئيسية فقط الناشر: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ – ١٩٢٢م

٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٨- علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، ٢٠٠٨ م.

٩- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١٠- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى: ٣٣٠هـ)، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

١١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٢- الكتاب: اللباب في علل البناء والإعراب عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ البغدادي، أبو البقاء، محبّ الدين العُكْبَري

(٥٣٨ - ٦١٦ هـ = ١١٤٣ - ١٢١٩ م).

١٣- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ط ١ - ١٩٩٦م.

١٤- مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد (٥٣) رمضان ١٤٣٢هـ.

١٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط ١- ١٤٢٢ هـ .

١٦- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة: مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار اللواء – السعودية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٧- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

١٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ.

٢٠- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١، - ١٤١٢ هـ تأويل مشكل القرآن.

٢١- مناهج البحوث وكتابتها، يوسف مصطفى القاضي، دار المريخ للنشر والتوزيع ط ١، سنة النشر: ١٩٨٤.

٢٢- المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق علية السلام، مكتبة القران الكريم، ISBN: ٩٦٤- ٣٥٧- ٠١٢- ٦.

٢٣- المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين ،: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

* * *